العرب
الإثنين 2021/05/17
السنة 43 العدد 12061

لبنان إلى العتمة... العتمة السياسية أيضا

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

تزحف العتمة على لبنان. العتمة بكل أنواعها، بما في ذلك النوع السياسي. يؤكّد زحف العتمة المستمرّ منذ 12 عاما عندما صارت وزارة الطاقة في يد "التيّار الوطني الحر"، أي حزب رئيس الجمهورية الحالي ميشال عون وصهره جبران باسيل، أن لا قعر للانهيار اللبناني في عهد الفرص الضائعة. إنّها الفرص الضائعة التي أضاعت لبنان. توقفت أخيرا السفينتان المستأجرتان من شركة تركية عن تزويد لبنان بالكهرباء. زاد التقنين وسيزداد أكثر في بلد مفلس لم يعد لديه ما يسدّد به إيجار السفينتين. تعتبر الكهرباء مسؤولة عن زيادة الدين العام مبلغ 50 مليار دولار!

أهل القدس لم يثوروا في وجه الاحتلال الإسرائيلي فحسب بل ثاروا أيضا في وجه السلطة الوطنيّة الفلسطينية وفي وجه «حماس» التي خطفت ثورتهم وحولت الجلّاد الإسرائيلي إلى ضحيّة بإطلاقها صواريخ من غزّة

لا حاجة إلى تعداد الأسباب التي تؤكد مدى الانهيار الكامل، بدءا بالذلّ الذي يعيش اللبنانيون في ظلّه وصولا إلى احتجاز أموالهم في المصارف والتصرّف غير المسؤول لكلّ من في السلطة، خصوصا رئيس الجمهورية نفسه، في ما يخصّ جريمة تفجير مرفأ في بيروت. هل يعقل هذا الغياب الكامل لأيّ معلومات واضحة تشرح للبنانيين ما الذي دمّر جزءا من بيروت، وعددا كبير من الأحياء المسيحية تحديدا، قبل ما يزيد على تسعة أشهر؟ هل يعقل إخفاء الحقيقة بهذه الطريقة على اللبنانيين، علما أن الجميع يعرف من وراء استيراد نيترات الأمونيوم إلى مرفأ بيروت ومن خزّنها ومن هي الجهة السورية التي استخدمتها في صنع البراميل المتفجرة في حرب النظام على الشعب السوري.

في ضوء الواقع السائد على الأرض، ليس صحيحا ما ذكره رئيس "القوات اللبنانية" سمير جعجع لـ"النهار" حديثا عن أنّه "كان ممكنا أن يكون الوضع اليوم أسوأ من ذلك لو لم نذهب إلى انتخاب عون" رئيسا للجمهورية. قبل كلّ شيء، لا يوجد ما هو أسوأ من الوضع القائم المرشّح لأن يسوء أكثر في ظلّ حال من الانهيار الحرّ الذي لا قعر له. يسمح الانهيار لرئيس الجمهورية بممارسة هوايته المفضّلة المتمثّلة في تشريد اللبنانيين وتهجيرهم من بلدهم. نراه، بكل بساطة، يستكمل ما بدأه في العامين 1989 و1990 عندما كان في قصر بعبدا كرئيس لحكومة مؤقتة مهمّتها محصورة بتأمين انتخاب رئيس جديد للجمهورية خلفا للرئيس أمين الجميّل. خاض ميشال عون وقتذاك حربي "التحرير" و"الإلغاء". ما نشهده اليوم ملحق للحربين اللتين أسفرتا عن هجرة لا سابق لها للمسيحيين الذين ما زال قسم منهم لا يريد أن يتعلّم شيئا من دروس الماضي القريب. لا تزال لدى هؤلاء أوهام تحرّكها الغرائز تجعل منهم يؤمنون بشيء اسمه ميشال عون الذي أثبتت التجارب والممارسات أنّه ليس سوى عبارة عن كتلة من الحقد. الحقد على كلّ نجاح لبناني وحسد من هذا النجاح.

كانت الفرصة الضائعة الأولى للعهد، الذي هو عمليا "عهد حزب الله"، عندما وضع كل العراقيل في طريق تنفيذ مؤتمر "سيدر" الذي انعقد في نيسان – ابريل 2018 في باريس بمبادرة فرنسيّة وبدفع من سعد الحريري في ظلّ شعور بالحاجة إلى إنقاذ البلد. كان "سيدر" الذي يعني أوّل ما يعنيه إجراء إصلاحات جذرية في لبنان ومشاركة بين القطاعين العام والخاص، فرصة لا تعوّض من أجل الحصول على مساعدات وتفادي الإفلاس المالي.

تبيّن منذ وصول ميشال عون إلى قصر بعبدا أن لا أجندة لبنانية سوى أجندة "حزب الله"، الطرف اللبناني الوحيد الذي يعرف ماذا يريد وذلك في ضوء كونه لواء في "الحرس الثوري" الإيراني ليس إلّا. لم يأت "حزب الله" بميشال عون رئيسا للجمهوريّة من فراغ. كان يعرف تماما، بعد سلسلة اختبارات للرجل ولصهره جبران باسيل، طوال عشر سنوات كاملة، أنّ ليس أفضل منهما لتنفيذ أجندة الانهيار.

يعجّل في الانهيار غياب أيّ أمل في تشكيل حكومة. أكثر من ذلك، لم يعد معروفا هل يفيد تشكيل حكومة في شيء في ظلّ الأحداث الإقليمية المتلاحقة التي كشفت مدى جهل العهد بما يدور في المنطقة من جهة ورهاناته الكارثية من جهة أخرى. كيف يمكن لعاقل الرهان على انتصار إيراني في المنطقة وعلى مستقبل سياسي لبشّار الأسد؟

تجاوزت الأحداث مسألة تشكيل حكومة لبنانية تضمّ اختصاصيين موجودة لائحة كاملة بهم لدى رئيس الجمهورية. أفرج ميشال عون عن مثل هذه الحكومة أم لم يفعل ذلك، وهو ما كان مفترضا به عمله قبل أسابيع عدّة، لن يتغيّر شيء في لبنان. لن يتغيّر شيء ما دام "حزب الله"، الذي جرّ لبنان إلى كلّ أزماته مستخدما "العهد القوي" ورغبة جبران باسيل في أن يكون رئيسا للجمهوريّة، مصرّا على أن يكون لبنان ورقة إيرانيّة.

لم يعد سرّا أن الإدارة الأميركية الجديدة التقطت تماما ما يدور في لبنان. وهذا ما يفسّر العقوبات التي فرضتها على سبعة من المنتمين إلى "حزب الله" على علاقة بنشاطاته المالية. هل بدأ العهد يعي أن الإدارة الأميركية لم تغيّر موقفها من "حزب الله" ونشاطاته مثلما لم تغيّر موقفها من النظام السوري، بل تبدو أكثر تشدّدا من الإدارة السابقة في ما يخص هذه النقطة بالذات؟

مسكين لبنان حيث رئيس للجمهورية يفتخر عبر تغريدة له بتلقي "رسالة من رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنيّة عرض فيها التطورات الأمنية الأخيرة في ضوء الاعتداءات الإسرائيلية على القدس، وطلب التحرّك العاجل لاتخاذ موقف حازم ضدّ هذا العدوان والإجرام". يعيش "العهد القوي"، الذي لا يعرف أصلا ما هي "حماس" ومن هو إسماعيل هنيّة، في عالم لا علاقة له بالعالم. لا يوجد فيه من يدرك أن أهل القدس لم يثوروا في وجه الاحتلال الإسرائيلي فحسب، بل ثاروا أيضا في وجه السلطة الوطنيّة الفلسطينية وفي وجه "حماس" التي خطفت ثورتهم وأفرغتها من مضمونها بعدما حولت الجلّاد الإسرائيلي إلى ضحيّة بإطلاقها صواريخ من غزّة.

تربط كلمة الجهل بين كلّ تصرّفات العهد الذي لم يترك فرصة إلّا وأضاعها من أجل المحافظة على الأمل بأن يخلف جبران باسيل ميشال عون في قصر بعبدا. من يفكّر بمثل هذه الطريقة ومن يعتقد أنّه ستجري انتخابات من أيّ نوع في لبنان في السنة المقبلة إنّما يراهن على مزيد من العتمة. يراهن خصوصا على العتمة السياسية التي يأخذ "حزب الله" البلد إليها خطوة خطوة بطريقة مدروسة...

إيران التي تنتظركم اليوم وغدا وفي كل حين

علي الصراف
كاتب عراقي

إيران الولي الفقيه عدوّ لكم. لا يمكنها أن تكون إلا كذلك، لأنها من الأساس مشروع تخريب وتدمير وحروب أهلية. ولهذا السبب، ما من معنى على الإطلاق، في النيّات الطيبة حيال إيران. الأمر يشبه وقوعا اختياريا بالفخ. رغم أنه فخ معلن، وتتوفر في الطريق إليه مئات الإشارات التي تقول: احذر. لا تقترب. دير بالك. اتق الله في نفسك وعيالك. قدامك فخ. ولا يعلم العاقل ماذا يقول، بين الخليجيين خاصة، للذي يمضي نحو الفخ بعينين مفتوحين، وهو يعلم أنه هو الهدف.

عندما تضعف إيران، يمكنها أن تتحدث بلين. وعندما تقوى فإنها تعود لتمارس الشراسة ضعفين. الأول، لتعويض عقدة الحقد في الضعف، والثاني لتجسيد ما تتطلع إليه من استعداد لفرض الهيمنة بما يتاح لها من استعلاء وغطرسة وغرور.

وهي تحاربكم بميليشيات من رعاع القوم عندكم. أينما تجد ساقطا وسافلا وناقص شرف وعديم ضمير، فإنها تخلع عليه بركتها، ليصبح زعيم ميليشيا. وهؤلاء لا فرق عندهم لو قتلوا أو دمّروا أو استباحوا أو نهبوا. كله مغفور، طالما يتم غسله في أقرب لطمية على الحسين. وأنا لا أبالغ. هذه هي بالضبط الثقافة التي يشيعها الولي الفقيه بين رعاعه وصعاليكه. وهو يريدهم أن يكونوا أناسا بلا ذمة ولا ضمير. وهو يريدهم جهلة أميين وأشباه أميين، منحطي الثقافة، وضيعي السلوك، لأنه وحرسه الثوري يعتمد على ما ينهبون، لينهب حصته من خلالهم. يعطيهم "الخمس" ليأخذ الأربعة أخماس، أو العكس، وذلك حسب حجم التدابير، وله ولهم في ذلك تبرير فقهي من دين لا دين فيه. ولقد تم نهب مئات المليارات من العراق على هذا الأساس.

وهذا البلد يغزوه السفلة والقتلة والسفاحون ومنتهكو الأعراض ليخدموا نظاما يعلّمهم الفساد ويبرر لهم. وهم على هذا المنوال سائرون، في كل مكان، لا يردعهم رادع ولا هم يستدركون. ذلك لأنهم، بحسب "النظرية" الإمامية يفعلون ما يطلبه "وكيل الإمام المعصوم" إلى حين يأتي "الإمام المعصوم"، وهات من يحصى كم من جريمة شنعاء، وكارثة نكراء، وفعل قبيح، حتى يحل ذلك اليوم الأسود، سواد وجوههم يوم الدين.

قصارى القول: هذه هي الإيران التي تنتظركم اليوم، وغدا وفي كل حين. وها نحن في هذا الجحيم على مدار أكثر من أربعة عقود. تبدل خلالها الكثير ولم يتبدل الحقد. وجرّبنا معها الكثير، ولم تجرّب معنا إلا الشيء نفسه: التغلغل والتخريب.

يوم تولى الخميني السلطة في إيران، وضع لها ثلاثة معايير: الأول، "ولاية الفقيه" بوصفها سلطة مطلقة، والثانية "تصدير الثورة"، والثالثة نهضة الفرس، بمعناها العنصري، لتعويض عقدة النقص التاريخية حيال العرب والأتراك. وكأننا في سباق انتقام من التاريخ.

هذه المعايير هي الدستور غير الخفي الذي تسير على رشده سلطة "المرشد الأعلى" وكل من يحيط به، وكل من يليه. وهي من دون حاجة إلى شواهد ولا أدلة ولا تفاصيل، ليست سوى معايير حرب طائفية وعنصرية لا تنتهي إلا بقضاء عنصر غالب على عنصر مغلوب، وذلك بأن يتّم سحقه ومحقه وإذلاله على غرار ما يستطيع كل الناس أن يروا ما هو حال العراقيين والسوريين واللبنانيين واليمنيين.

إنها شعوب تتجاوز في تعداد نفوسها 100 مليون، من أمّة العرب هذه، يتم سحقها وإذلالها ونهب مواردها، وإخضاعها للصوص والمجرمين والأفاقين والدجالين باسم الطائفة والدين.

والهدف التالي هو شعوب دول الخليج. هؤلاء هم، جوهرة التاج. ومواردهم هي التي يمكنها أن تعيد للإمبراطورية الفارسية سلطانها الغابر.

لقد عوّلنا على الولايات المتحدة، ولكن ها هي تنسحب لكي تفتح الطريق أمام إيران، لتدخل باللين والتفاوض أولا، ثم لتنتظر يوما ما بعده يوم، في البحرين أو قطر أو الكويت قبل أن تكرّ السبحة.

المشروع هو التمدد. هو التحول إلى قوة حاكمة في الإقليم، يمتثل لإرادتها الكبار رعاية لمصالحهم، ويرخي لها الصغار عنان الذل. فهل من رشيد؟

قبل ألف وأربعمئة عام، رفع الخليفة عمر بن الخطاب يده إلى ربه داعيا بالقول "اللهم اجعل بيننا وبين فارس جدارا من نار". ووالله ما حقّ هذا القول في ذلك الوقت بمقدار ما يحق اليوم. ووالله ما أصبح ذلك ممكنا من قبل، مثلما هو ممكن اليوم.

وعيب على الناظر في واقع الحال، أن يسيء النظر إلى الفرس أو إلى أيّ من القوميات الأخرى التي تعيش في إيران، فلنا فيهم من الأحرار من دفعوا من حياتهم كل ثمن ممكن في مواجهة وحشية سلطة الولي الفقيه. ولقد تشرّدوا مثلما يتشرّد السوريون، ولقد قُتلوا مثلما يُقتل العراقيون، ودفعوا من معيشتهم مثلما يدفع اللبنانيون، ولقد مرضوا مثلما يمرض اليمنيون والإيرانيون أنفسهم. وما حركة المعارضة "مجاهدي خلق" إلا نموذج للنقاء الوطني التحرري، الذي يستحق كل مساندة ودعم.

ولكن "فارس" (السلطة والحكم والمشروع) هي ذاك المرض القديم الذي لا شفاء له إلا الكيّ.

ولا سبيل للتراخي مع إيران الولي الفقيه. والاستعداد لها هو الخيار الوحيد. لأنها لا تملك خيارا إلا أن تستعد لكم لتكمل ثلاثية الشر الخمينية، على جماجم أبنائكم ودمار بلدانكم.

ولقد حان الوقت لنعترف، إذ أخطأنا بالكثير. أولا، عندما انتهينا إلى القبول بغزو العراق وتدميره. وثانيا، بالتعويل على الولايات المتحدة لتكون هي حائط الصد. بينما أثبت الواقع أنها حائط منخور بالتواطؤ، حتى بلغ الانهيار مرة، بتوقيع الاتفاق النووي عام 2015، ثم عاد لينهار كليا بالعودة إليه من جديد.

وها هي إدارة الرئيس جو بايدن، بكل ما أتيح لها من صلف ووقاحة وحمق، تستهين بالتحالف مع السعودية، لكي ترضي إيران في اليمن، وتستسلم لها في العراق، وتنسحب من قواعدها بذُلٍ ما كان ليليق بدولة عظمى.

إيران وهي على حافة العوز والجوع بنَت خلال السنوات العشرين الماضية (من عائدات النهب) قوة صاروخية قادرة على أن ترسل الأقمار الصناعية إلى الفضاء الخارجي للأرض. وهناك من أجيال الصواريخ ما بات يشكل تهديدا مباشرا للضفة الأخرى كلها من الخليج، وليس فقط للملاحة الدولية في مياه الخليج.

ميزانيات الدفاع الخليجية تتجاوز 120 مليار دولار سنويا. معظمها يذهب إلى الولايات المتحدة التي باعت العراق لإيران، وسمحت بغيره. وها هي تستعد لكي تبيع المزيد، ربما مقابل عقود تجارية تجنيها من العودة إلى الاتفاق النووي.

فإذا كان من الضروري أن يُصدر مجلس الأمن الدولي قرارا يجبر المعتدي على دفع تعويضات عمّا يرتكبه، ليكون رادعا، فإن من العيب تماما ألا تكون لنا قوة صاروخية تتجاوز قوة إيران بعشرة أضعاف. ومن العيب تماما ألا تكون هذه القوة مستقلة بنسبة 100في المئة، ولا حتى مقابل برغي واحد.

لا سبيل للتراخي مع إيران الولي الفقيه والاستعداد لها هو الخيار الوحيد لأنها لا تملك خيارا إلا أن تستعد لكم لتكمل ثلاثية الشر الخمينية على جماجم أبنائكم ودمار بلدانكم

هذه القوة ليست مستحيلة تقنيا. ولا هي صعبة من ناحية توفر الخبرات. ولا هي عسيرة من ناحية توفير المستلزمات والمواد الخام. وثمة من شتات خبراء صناعة الصواريخ ما يكفي لنقل كل التجارب. لا شيء في ذلك عزيز. ويكفي أن تخصص له موارد لا تزيد عن عشرة مليارات دولار كل عام.

بل إنها مشروع اقتصادي عالي الأهمية، من نواحي التشغيل والتدريب والعوائد المزدوجة. وحتى لو تم إنفاق المزيد، فان كل قرش سوف ينغرس في أرضه، كوظائف على الأقل.

ولن تمضي عشر سنوات من انطلاق المشروع حتى يرتفع جدار النار، وحتى يرى الوليّ الفقيه أن كل صاروخ من صواريخه ستقابله 10 صواريخ. وإنه ما أن يُطلق واحدا حتى ينطلق ضده مئة ألف، مائتا ألف، مليون صاروخ تحلق في كل اتجاه كريح صرصر في يوم نحس مستمر.

ذلك هو خط الدفاع الوحيد. إنه نبوءة رجل رشيد.